# الاستعراب الأسباني

إن الاستعراب الأسباني ليس كغيره من أوجه الاستعراب التي نمت في بقية أوروبا، لقد تفرد أيما تفرد في سبر غور روعة ماضي الأندلس المعيش على مدى ثمانية قرون، واستكشافه وإثرائه بالنقاش والجدل العلمي، وكذلك نشر تراثه العظيم.

ثمة وجهات نظر متعارضة قد نشأت عند تقييم الطبيعة الاستشراقية للاستعراب الأسباني، ذلك أنه عندما نجد علما أو دارسين أمثال ميغيل بارسيلو أو برنابا لوبيز غارسيا يدافعون على أن «الاستعراب الأسباني» ويعدونه وفق كل معنى أو تقدير : «استشراقاً»، فإن هنالك مفكرين آخرين مثل الروائي خوان غويتيسولو

يميلون إلى دعم الاستقلال التام للاستعراب عن الاستشراق في أسبانيا، فهم يتبعون ذات الفكرة التي نادى بها اسين بالاسيوس وايميليو غارسيا غوميز في النصف الأول من القرن العشرين والتي مفادها «أن الاستعراب الأسباني بالنسبة إلينا ليس كما هو الشأن في الكثير من أمم أوروبا، مجرد حب استطلاع أو فضول أو تطفل أكاديمي

إن الدراسات العربية بالنسبة إلينا هي حاجة ارتباطية وعاطفية كونها مربوطة بالكثير من صفحات تاريخنا، وتنم عن خصائص قيمة لآدابنا وفكرنا وفننا، إنها تغوص في تلافيف لغتنا وحتى ربما في حياتنا تقريبا .

وكانت المحصلة أنه كان هنالك تمييز بين الاستشراق الأسباني والاستشراق الأوروبي الشمالي في مرحلتيهما المميزتين الأرض الأندلسية المحلية مقابل الشرق الأجنبي، ودراساتهما.

وفي غرناطة التي تعتبر الرمز الإسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية، ظهرت حركة متخصصة تعمل على جذب الأجانب المهتمين بالشرق، مثل هؤلاء المهتمين بالحمراء . لقد نقل هؤلاء الكتاب والفنانون هذا «الشرق المحلي» في المواضيع الرئيسية لإبداعاتهم غير مهملين لفترة القرون الثمانية من سيطرة المسلمين على شبه الجزيرة الايبرية، وصارت الأندلس محور الأدب الرومانسي الأسباني في القرن التاسع عشر الميلادي الذي أوجده بيدرو أنطونيو دي ألاركون (١٨٩١ م) أو خوسيه زوريلا (١٨٩٣) أو خوان فاليرا (١٩٠٥م) من بين آخرين كتبوا عن الماضي العربي للبلاد.

إن الاستعراب الأسباني في بداية القرن التاسع عشر كان ملازما لهذه الحركة الأدبية الفنية، من الاستشراق الداخلي .

بعد قرن لاحق، نجد أن العديد من الفنانين، من روائيين وشعراء وتشكيليين وموسيقيين، ما يزالون منجذبين إلى هذا الماضي المغربي الدخيل من تاريخ أسبانيا مكتشفين في الحمراء بغرناطة أعظم شاهد على الحضارة الأندلسية: وكان ذلك حال الكتاب من أمثال ج.أستبان أسحاق ميونوز (١٠٥٢م) وفرانسيسكو فلاييسبييسا

(١٩٣٦م) والشعراء من أمثال فيديريكو غارسيا لوركا (١٩٣٦م) والتشكيليين ممن هم في قامة ماريانو فورتيوني (١٨٤٧م) وفرانسيسكو براديللا (١٩٢١م) وخواكين سورولا (١٩٢٣م) وايسيدورو مارين (١٩٢٦م) ، وأعظم المؤلفين الموسيقيين مثل مانويل دي فايا (١٩٤٦م) . وبكلمات برنابا لوبيز خوان فاليرا (١٩٠٥م)وغيرهم من الذين كتبوا حول تاريخ العرب في آسبانيا

نظرة تاريخية شاملة لتطور الاستعراب في أسبانيا (في القرنين العشرين والحادي والعشرين):

إن الاستعراب، بنشأته في خضم الجدل المذهبي في القرون الوسطى، قد تم تطويره وتنميته بنهاية القرن الثامن عشر في عهد الملك الأسباني شارلس الثالث (١٧٨٨) استجابة لدواع ومقتضيات تخص سياسته الافريقية والمتوسطية . أما الدارسون والعلماء أمثال ميغيل كاسيري (١٩٧١)، أو خوسيه أنطونيو بانكيزي (١٨١٨)، أو خوسيه أنطونيو كوند (١٨٢٠) فهم مسؤولون عن "الإحياء الخجول للدراسات العربية في القرن الثامن عشر وحتى وقتنا الحاضر" حسب تعبير خوان غويتيسولو . لقد شهد القرن التاسع عشر تدشين المدرسة الحقيقية للدراسات العربية وتم اعتبار باسكول دي غيانغوس (١٨٧٩) وخوسيه مورينو نيتو (١٨٨٢) وفرانسيسكو كوديرا (١٩١٧)

وجوليان رابيرا (١٩٣٤) وميغيل اسين بالاسيوس (١٩٤٤ م) بمثابة "الآباء المؤسسين للاستعراب" . إن هؤلاء وشخصيات بارزة أخرى، من الذين كرسوا أنفسهم أساسا لدراسة الأندلس، قد كونوا جذور الدراسات العربية اللاحقة، وعملوا على تكامل ما يسمى بالمدارس الحديثة للمستعربين الأسبان .

يأتي خلف الرعيل الأول من المستعربين مجموعة مبدعة من المتخصصين عملت على توحيد الدراسات العربية في أسبانيا، تقودها تعاليم عدد من كبار الأساتذة من أمثال البروفيسور أنجيل غونزاليز بالينسيا (١٩٤٩)، وفوق الكل، القامة السامقة – البارز والمتفوق: اميليو غارسيا غوميز (١٩٩٥)، و الياس تريز (١٩٨٣) و داريو كابالنياس (١٩٩٢) وجاسنتو فيلا (١٩٨٥)، وفيرناندو دي لا غرانجا (١٩٩٩) وميغيل كروز هيرناندز وخوسه فورنياس (٢٠٠٣)، والفارو غاليس دي فوينتس (٢٠٠٣) وخواكين بيرميخو فالف، ورودولفو جل غريمايو (٢٠٠٨) وخواكين لومبا، وبيدرو مارتينز مونتابز وبورروليو غستل (١٩٩٤) ومايكل دي ايبالزا (٢٠٠٨)، وماريا خيسوس روبييرا (٢٠٠٩) وفيدريكو كورينومارسلينو فليغاس (١٩٩١)، وسيرافين فإنجول وفيرناندو دي اغريدا، وفيدريكو ارابوس وبيدرو شاليتا، وإميليو ديسانتياجو، وماريا فيغويرا، وكارمن رويز برافو، وميرسيديس دي امو، وكاريداد رويز، وبرنابا لوبيز غارسيا، من بين مفكرين آخرين بارزين.